مجلة الآداب والحضارة الإسلامية ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449
المجلد: 13 العدد: 27 السنة: 2021

# التَّمْثِيلُ في الأُسْلُوبِ القُرْآنِيّ فِي تَفْسِيرِ الكَشّاف لأبي القَاسِم الزَّمَخْشَرِيّ (ت:538هـ)

# Representation in the Quranic Style in the Interpretation "Al-Kashshaf" by Abu Al-Qasim Al-Zamakhshari (d: 538 H)

**خالد ضو**

جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة (الجزائر)

البريد الإلكتروني: k.dou@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/04 تاريخ القبول: 2021/12/29 تاريخ النشر: 2021/12/31

**ملخص:**

يدرسُ هذا البحثُ بلاغةَ التمثيل في القرآن الكريم من خلال كتاب الكشاف لأبي القاسم الزمخشري، ويهدفُ البحث إلى التعريف بهذا الرجل وكتابه، وتحديد مدى أهمية التفسير البياني للقرآن الكريم، كما يهدفُ إلى بيان دور التمثيل في تجلية المعنى المراد، واستخراج بعض دقائق التمثيل ودوافعه وآثاره من كتاب الكشاف للزمخشري، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث أنّ التمثيل أسلوب بياني يؤدي إلى بيان المقصود وكشف الغرض المطلوب، وفيه إبراز لخبايا المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، فيكون الغائب كأنه مشاهد، والمتخيل في صورة المحقق، وقد وردَ التمثيل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة؛ ويكون على صورة تشبيه أو استعارة تأتي مناسبة لصفة المُمثَّل له أو حاله أو قصته، ويساهم هذا التمثيل في إثراء عنصر التشويق في التعبير، وعنصر الإقناع في المعنى.

**كلمات مفتاحية:** تمثيل؛ تصوير؛ بلاغة؛ الزمخشري؛ الكشاف.

**Abstract:**

This research studies the rhetoric of representation in the Holy Qur'an through the book "Al-Kashshaf" by Abu al-Qasim al-Zamakhshari. The research aims to introduce this man and his book, and determine the importance of the rhetorical interpretation of the Holy Qur'an. It also aims to

clarify the role of representation in clarifying the intended meaning, and to extract some of the subtleties of representation, its motives and effects from a book "Al-Kashshaf" by Al-Zamakhshari. One of the most important results of the research is that representation is a rhetorical method that leads to statement of the intended, and revealing the desired purpose. In which the hidden meanings are revealed, and the statement of facts, so that the absent is as if it is a visible, and the imagined is in the form of the investigator. In addition, representation is mention in the Holy Qur'an in very many positions; it is in the form of a simile or metaphor that is appropriate for the characteristic of the model, its condition or its story. And this representation contributes to enriching the suspense in expression, and the persuasion in meaning.

**Keywords:** representation; rhetoric; Al-Zamakhshari; Al-Kashshaf.

## 1. مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، حتى يبلغَ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على النبيّ الأمين، محمّدٍ بن عبد الله، عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإن الأسلوب القرآني جاء متفردا في تحديد المراصد وتحقيق المقاصد، فجمع بين البساطة والسلاسة والبلاغة والجزالة جمعا منقطع النظير، فكان القرآن الكريم ملما بكل علم بما فيه من جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:38].

اهتم العلماء منذ القرون الأولى بدراسة القرآن الكريم دراسة لغوية فقهية أصولية، وقد وردت مئات التفاسير للقرآن؛ منها ما ركز على الجانب الفقهي، ومنها ما اهتم بالجانب اللغوي؛ فجمع بين البيان والفقه، وغاص في تحليل أساليب الآيات وتراكيب السور، مُبينا معاني الألفاظ، مُعلّلا دلالاتها، وقد كانت هاته التفاسير أشدّ عمقا في بيان الأساليب اللغوية، وأكثر استرسالا في تأصيل دلالات الألفاظ، وتخريج الفروع من الأصول وتعليلها.

يُعَدُّ أبو القاسم الزمخشري من الذين أبدعوا في علوم اللغة وتبحروا فيها، ومصنفاته في ذلك خير شاهد، وقد فسر القرآن في كتابه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" وكان في تفسيره غالبا ما يشير إلى

المكامن البلاغية والبيانية في الأسلوب، وقد جاء هذا البحث ليدرس بلاغة التمثيل من خلال كتاب الكشاف دراسة لغوية فقط، وذلك من خلال تحليل بعض النماذج التفسيرية للزمخشري في كتابه فيما يتعلق بالآيات التي ورد فيها التمثيل.

### 1-1. أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في عدة نقاط يُذكَرُ منها:

- كونه متعلقا بأشرف العلوم ألا وهو علم القرآن الكريم.
- تعريفه بالزمخشري ومؤلفاته التي تعد من أنفس المصادر اللغوية.
- بيانه لأسس التمثيل البياني وأثره البلاغي في المعنى.
- شرحه لدوافع استعمال التمثيل في التعبير.
- ذكره لبعض النماذج من أسلوب التمثيل ودراستها بيانا وتعليلا.

### 1-2. إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من الإشكال الآتي:

- **ما مدى تأثير التمثيل في تحقيق المعنى المقصود من التعبير عند الزمخشري؟**

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية الآتية:

- من يكون أبو القاسم الزمخشري؟
- ما المقصود بالتمثيل وما دوافعه؟
- هل التمثيل يؤثر في المعنى دون المبنى أم في كليهما؟

### 1-3. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

- التعريف بعلم من أعلام اللغة وشيخ من شيوخ العربية، ألا وهو الزمخشري.
- تحقيق مدى أهمية التفسير البياني للقرآن الكريم.
- بيان دور التمثيل في تجلية المعنى المراد وتوضيحه.

- تحديد بعض دوافع استعمال التمثيل في التعبير.
- استخراج بعض دقائق التمثيل وآثاره من كتاب الكشاف للزمخشري.

### 1-4. خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولتحقيق الأهداف المنشودة قُسّم البحث إلى عنصريْن، تتقدمُهما مُقدّمةٌ، وتليهما خاتمة، وتفصيل عناصره كالآتي:

1. **مقدمة:** فيها أهمية الموضوع وإشكاليته وأهدافه، وخطة تقسيمه، ومنهج دراسته.
2. **التعريف بالزمخشري وكتابه الكشاف.**

2-1. التعريف بأبي القاسم الزمخشري

2-2. التعريف بكتاب الكشاف

3. **التمثيل وبعض صوره في الكشاف للزمخشري.**

3-1. التمثيل وأثره البلاغي

3-2. تحليل نماذج تمثيلية في القرآن الكريم

4. **الخاتمة:** فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وبعض الاقتراحات.

### 1-5. مناهج الدّراسة:

انتُهِجَ في معالجة هذا البحث ثلاثة مناهج، وذلك الآتي:

- المنهج التاريخي؛ وذلك في التعريف بالزمخشري وذكر بعض أقوال العلماء فيه وفي مصنفاته.
- المنهج الوصفي؛ وذلك في التعريف بالكتاب المدروس، وتعريف التمثيل وبيانه.
- المنهج التحليلي؛ وذلك في تحليل بعض الصور من التمثيل في القرآن الكريم وفق أقوال الزمخشري.

## 2. التعريف بالزمخشري وكتابه الكشاف:

قبل التعمق في معاني الكتاب المدروس "كتاب الكشّاف" واستخراج مكنونات التمثيل منه تفسيرا وتعليلا؛ وجب التعريف به وبصاحبه، وذلك لتحديد المكانة العلمية لهما؛ دعما لأهمية الموضوع، وسعيا لربط فروعه بأصوله.

## 2-1. التعريف بأبي القاسم الزمخشري (ت:538هـ):

الزمخشري علم من أعلام اللغة له تاريخ واسع فيها ومصنفات كثيرة، وفي العناصر الآتية تعريف باسمه ونسبه، وبعض شيوخه وتلاميذه، وبيان لأهم مصنفاته، وذكر خبر وفاته.

### 2-1-1. نسبه ومولده:

هو النحويّ أبو القاسم؛ محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري[1]، والزَّمَخْشَرِيّ بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وفى آخرها الراء، نسبة إلى زمخشر من بلاد خوارزم[2]، ولقبه "جار الله"[3]؛ لُقِّبَ به لأنه جاور بمكة زمانا[4]، وقال أبو طاهر الأصبهاني: كتب إلي الزمخشري من مكة وقد سألته إعلامي مولده، فقال: أما وقت الميلاد فشهر الله الأصم، في عام 467هـ، بقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر[5]، وقال ابن أخته أبو عمرو عامر بن الحسن السمسار: ولد خالي بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء 27 من رجب سنة 467هـ.[6]

وقيل إنه أصيب في رجله فقطعها واتخذ رجلا من خشب، وقيل إن سأله الفقيه الدامغاني عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني أمسكت عصفورا وأنا صبيّ صغير، وربطت برجله خيطا فأفلت

---

[1]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله (المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي، ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، المستفاد من تاريخ بغداد لابن الدمياطي، الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي لابن النجار)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، ج21، ص178.

[2]- محيي الدين عبد القادر القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، ج2، ص312.

[3]- ابن المستوفي، تاريخ إربل، تحقيق: سامي الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م، ج2، ص482.

[4]- أبو الفداء قاسم السودوني، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م، ص291.

[5]- أبو طاهر الأصبهاني، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م، ص134.

[6]- كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، 1985م، ص292. ويُنظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، ج6، ص2687-2688.

مني ودخل خرقا فجذبته فانقطعت رجله، فتألمت له والدتي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما رحلت إلى بخارى في طلب العلم سقطت عن الدابة في أثناء الطريق فانكسرت رجلي وأصابني من الألم ما أوجب قطعها.[1]

### 2-1-2. علمه ومصنفاته:

كان الزمخشري نحويًّا فاضلًا[2]، حافظا في اللغة والأدب[3]، وكان أحد أعلام الدهر في علوم متنوعة وفنون مختلفة[4]، وكان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل[5]، وله شعر رائق وترسل فائق وتأليفات مفيدة[6]، وكانت تشدّ إليه الرحال وله عدة مصنفات، وكان فصيحا بليغا علّامة[7]، وقد كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهرا به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد أحدًا واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب.[8]

صنف الزمخشري كتبًا حسنة في فنون عديدة، منها: التفسير الكبير وهو "الكشاف عن حقائق التنزيل"، وكتاب "أساس البلاغة"[9]، وكتاب "فصوص الأخبار"، وكتاب "متشابه أسامي الرواة"، وكتاب "النصائح الكبار"، وكتاب "النصائح الصغار"، وكتاب "ضالّة الناشد"، وكتاب "الرائض في علم الفرائض"، وكتاب "رؤوس المسائل" في الفقه، وكتاب "المستقصى" في أمثال العرب، وكتاب "شقائق النعمان في حقائق

---

[1]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2687-2688.

[2]- كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص290.

[3]- ابن المستوفي، تاريخ إربل، ج2، ص482.

[4]- أبو طاهر الأصبهاني، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، ص134.

[5]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2687-2688. ويُنظر أيضا: ابن المستوفي، تاريخ إربل، ج2، ص482.

[6]- أبو طاهر الأصبهاني، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، ص134.

[7]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج21، ص178.

[8]- ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ج5، ص170. ويُنظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2687-2688. ويُنظر أيضا: ابن المستوفي، تاريخ إربل، ج2، ص482.

[9]- المرجع نفسه، ج2، ص482.

النعمان"، وكتاب "شافي العي من كلام الإمام الشافعي"، وكتاب "القسطاس" في العروض، وكتاب "معجم الحدود"، وكتاب "المنهاج" في الأصول، وكتاب "مقدمة الأدب"، وكتاب "الرسالة الناصحة" وكتاب "الأمالي"، وغير ذلك[1]، وكذلك كتاب "الفائق في غريب الحديث"، وكتاب "ربيع الأبرار"، وكتاب "أسماء الأودية والجبال"، وكتاب "المفرد والمؤلف" في النحو، وكتاب "المفصل" في النحو، وزعم أنه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلا وقد تضمنها هذا الكتاب، وقيل بأنه أنكر عليه بعض أهل الأدب هذا القول، وذكر له مسألة من كتاب سيبويه، وقال: هذه ليست فيه، فقال: إنها إن لم تكن فيه نصًّا فهي فيه ضمنًا؛ وبين له ذلك[2]، وقيل: وكان شروعه في "المفصل" في العاشر من رمضان سنة 513هـ، وفرغ منه غرة المحرم سنة 515هـ.[3]

### 2-1-3. شيوخه وتلاميذه:

قدم الزمخشري بغداد قبل الخمسمائة، وسمع بها من أبي الخطاب بن البطر، وتوجه إلى الحجاز فحجّ وأقام هناك مدة مجاورا، وعاد إلى خوارزم وأقام بها؛ ثم قدم بغداد بعد الثلاثين وخمسمائة.[4]

أخذ الزمخشري اللغة والنحو عن أبي مضر النحوي؛ محمود بن جرير الضبي الأصبهاني، الذي كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب[5]، كما أخذ عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشفاني[6]، كما قرأ الزمخشريُّ كتابَ سيبويه عن عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري، حين اجتمع به بمكة.[7]

---

[1]- أبو الفداء قاسم السودوني، تاج التراجم، ص291.

[2]- كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص290.

[3]- أبو الفداء قاسم السودوني، تاج التراجم، ص291.

[4]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج21، ص178. ويُنظر أيضا: ابن المستوفي، تاريخ إربل، ج2، ص482.

[5]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2685.

[6]- المرجع نفسه، ج6، ص2687-2688.

[7]- مجد الدين الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000م، ص171-172. ويُنظر أيضا: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ج2، ص46.

ومن تلاميذه أبو الطيب علي بن عيسى بن حمزة المعروف بابن وهاس؛ وقيل إنه قرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه[1]، وقرأ عليه الأدب أبو الحسن علي بن محمد العمراني الخوارزمي الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ، فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظا من غرائب آدابه[2]، وروى عنه أيضا الفقيه أبو طاهر سامان بن عبد الملك الساماني الخوارزمي[3]، كما لزمه أيضا وأخذ عنه أبو يوسف يعقوب بن علي البلخي ثم الجندلي[4]، وأخذ عنه الموفق بن أحمد بن محمد المكي خطيب خوارزم[5]، وأخذ عنه أيضا ضياء الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الأزدي القرطبي[6]، وأخذ عليه اللغة وعلم الإعراب أبو الفضل محمد بن أبي القاسم بايجوك البقالي الخوارزمي الآدمي الملقب زين المشايخ، وجلس بعده مكانه.[7]

### 2-1-4. وفاته:

توفي النحوي الكبير أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم، ليلة عرفة سنة 538هـ.[8]

## 2-2. التعريف بكتاب الكشاف للزمخشري:

يعدُّ الكتاب من كتب التفاسير البارعة، وخاصة من ناحية البيان والإعراب، وقال بعضهم: إنّ كتاب "الكشاف" في التفسير من التصانيف البديعة، ولم يصنف قبله مثله[9]، واشتهر الرجل ومصنفاته، وكانت تشدّ

---

[1]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص1832.

[2]- المرجع نفسه، ج5، ص1961.

[3]- ابن نقطة الحنبلي البغدادي، إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1410هـ، ج3، ص121.

[4]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2844.

[5]- محيي الدين عبد القادر القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج2، ص188.

[6]- ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ج2، ص372.

[7]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2618.

[8]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج21، ص178. ويُنظر أيضا: كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص292.

[9]- ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص168. ويُنظر أيضا: أبو الفداء قاسم السودوني، تاج التراجم، ص292.

إليه الرحال لعلمه وفصاحته وبلاغته[1]، وقيل إن أحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل الإشبيلي، المعروف بابن رأس غنمة (ت:640هـ)، هو أول من أدخل الكشاف بلاد الأندلس.[2]

كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد كما ذكرنا، وأول ما صنف كتاب "الكشاف" كتب استفتاحًا: "الحمد لله الذي خلق القرآن"، فقيل له: إن تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيره بقوله: "الحمد لله الذي جعل القرآن"؛ وجعل عندهم بمعنى خلق، ورأيت في كثير من النسخ "الحمد لله الذي أنزل القرآن"؛ وهذا إصلاح الناس وليس إصلاح المصنف.[3]

كان الإمام محمد بن أبي بكر بن محمد؛ شمس الدين الأيْكي، يكشف أسرار "الكشاف"، ويبين ما فيه من مواطن الاعتزال، وقيل: كان يمري حقائقه ويدري دقائقه، ويقرئه الطلبة ويقريه، ويفرق بذهنه ما فيه خلل ويفريه[4]، كما شرح الإمام الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي كتاب الكشاف شرحا كبيرا وأجاب عما خالف مذهب السنة أحسن جواب.[5]

قال ابن حجر: "والناظر في الكشاف إن كان عارفا بدسائسه فلا يحل له النظر فيه لأنه لا يأمن الغفلة فتسبق إليه تلك الدسائس وهو لا يشعر ... فينبغي للعالم أن يأنف من أن يصير سواسا للمعتزلي،

[1]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، ج21، ص178.

[2]- ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص933.

[3]- ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص170.

[4]- صلاح الدين الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر/ دار الفكر، بيروت/ دمشق، الطبعة الأولى، 1998م، ج4، ص351.

[5]- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد بالهند، الطبعة الثانية، 1972م، ج2، ص186.

وإن كان غير عارف بدسائسه فلا يحل له النظر فيه لأن تلك الدسائس تسبق إليه ولا يشعر، فيصير معتزليا مركبا".[1]

وعلى الرغم من إنكار ابن حجر لمعتقد الزمخشري لكنه امتدح علمه باللغة فقال بأنه كان في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام، وكتابه أساس البلاغة من الكتب الحسان؛ أجاد فيه وبين الحقيقة من المجاز في الألفاظ المستعملة إفرادا وتركيبا، وكتابه الفائق في غريب الحديث من أنفس الكتب لجمعه المتفرق في مكان واحد مع حسن الاختصار وصحة النقل، وله كتاب المفصل في النحو مشهور، وله مصنف في المشتبه في مجلد واحد وفيه فوائد جليلة.[2]

وأردف ابن حجر متكلما عن تفسير "الكشاف" للزمخشري فقال: أما التفسير فقد أولع الناس به ونقبوا عليه وبينوا دسائسه وأفردوها بالتصنيف، ومن رسخت قدمه في السنة انتفع بتفسيره ولم يضره ما يخشى من دسائسه.[3]

ومن خلال ما أُورد من كلام العلماء فإن دراسة هذا البحث ستكون من ناحية لغوية بحتة بعيدة عمّا يُخشى منه من إضمار فكر أو شبهة، بحيث يُؤتَى بالمثال على التمثيل ويُحلَّل وفق ما قاله الرجل فيه، ثمّ يُعقَّبُ عليه.

## 3. التمثيل وبعض صوره في الكشاف للزمخشري:

بعد تعريف الزمخشري وكتابه الكشاف في العنصر السابق، يأتي في هذا العنصر بيان معنى التمثيل وبلاغته عند الزمخشري، مع تحليل بعض النماذج التي أوردها في كتابه المذكور.

### 3-1. التمثيل وأثره البلاغي:

[1]- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، 2002م، ج8، ص8.

[2]- المرجع نفسه، ج8، ص8.

[3]- المرجع نفسه، ج8، ص8.

جاء القرآن الكريم عميق المعاني كثير الأمثال والأقيسة، والتمثيل عرف في لغة العرب، وسيأتي في هذا العنصر تعريفه وبيان أثره البلاغي على التركيب والمعنى

### 3-1-1. تعريف التمثيل:

التمثيل من مثَّلَه: أي صَوَّره، ومَثَّلَه به: أي شَبَّهه[1]، التمثيلُ: التَشْبيهُ، والمُتَماثِلاتُ: المُتشابِهاتُ، وتَشَبَّهَ فلان بكذا تمثل به[2]، والتَّمْثالُ، بالفتح: التَّمْثيلُ، وبالكسر: الصورةُ، والجمع التماثيل وامْتَثَلَهُ هو: تَصَوَّرَهُ، ومَثَّل لهُ الشيء تَمْثيلا: صَوَّرَهُ له حتى كأنه يَنْظُرُ إليه.[3]

وامتثل القوم وعند القوم مثلا حسنا، وتمثل إذا أنشد بيتا ثم آخر، وهي الأمثولة، وتمثل بالشيء ضربه مثلا، والمثال من الشبه وهو المقدار، وماثل الشيء شابهه[4]

التمثيل هو إثبات حكم واحدٍ في جزأين لثبوته في جزئي آخر، لمعنىً مشترك بينهما، ويسميه الفقهاء قياسًا، ويسمون الجزئي الأول فرعًا والثاني أصلًا، والمشترك علةً وجامعًا.[5]

---

[1]- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر/ دار الفكر، بيروت/ دمشق، الطبعة الأولى، 1999م، ج9، ص6223.

[2]- الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1987، ج6، ص2236.

[3]- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005م، ص1056. ويُنظر أيضا: ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ج10، ص161.

[4]- ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ج10، ص161.

[5]- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص66. ويُنظر أيضا: جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م، ص126. ويُنظر أيضا: محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م، ج1، ص506.

يُعدُّ المجاز المركّب تمثيلا على سبيل الاستعارة، وذلك لاستلزامه التمثيل من جهة، ولأنّ فيه ذكر المشبّه به دون المشبّه من جهة أخرى، وقد يسمّى بالتمثيل مطلقا دون تقييد بالاستعارة، ويمتاز عن التشبيه بتسميته تشبيه تمثيلي أو تشبيه تمثيل، ولا يطلق التمثيل مطلقا على التشبيه.[1]

التمثيل استعارة تمثيلية، أما عند عبد القاهر والزمخشري فالاستعارة مختصة بالمجاز في المفرد المبني على التشبيه، وأما الاستعارة التخييلية المصرح بها مع القطع فهي أن تذكر مشبها به في موضع مشبه وهمي تقدر مشابهته له مع الإفراد في القرينة والذكر.[2]

والمثل في كلام العرب: بمعنى المثل، أي: النظير، يقال: مَثَل ومِثْل ومثيل، كشَبَه وشِبْه وشبيه، ثم أطلق المثل على القول السائر الممثل مضربه بمورده، ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثمّ حوفظ عليه وحُمِيَ من التغيير.[3]

### 3-1-2. بلاغة التمثيل:

يُصارُ إلى التمثيل لِمَا فيه من رفع الحجاب وكشف المعنى عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإذا كان المتمثل له حقيرا كان المتمثل به مثله، وإن كان عظيما كان المتمثل به كذلك، فالحقارة والعِظم في المضروب به المثل أمرٌ تستدعيه حال المتمثل له وتستجرّه إلى نفسها، فالضارب للمثل يعمل به على حسب تلك الحال.[4]

ضرب الأمثال زيادة في الكشف وتتميم للبيان، والعرب تضرب الأمثال في كلامها، والعلماء يستحضرون المثل والنظائر، وفي هذا إبراز لخبايا المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، فيكون الغائب كأنه مشاهد، والمتخيل في صورة المحقق، وقد أكثر اللّه في كتابه المبين أمثاله، وفشت الأمثال أيضا في كلام النبي

---

[1]- محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، ص1461

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص101.

[3]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ، ج1، ص72.

[4]- المرجع نفسه، ج1، ص111.

صلى اللّه عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء؛ قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:43]، ومن سور الإنجيل سورة الأمثال.[1]

## 3-2. تحليل نماذج تمثيلية في القرآن الكريم

ورد التمثيل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدا؛ وقد تفنن الفقهاء في تأويلها وفق قواعد اللغة، وفي هذا العنصر ستُذكرُ بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر وتُحَلَّلُ وفق ما جاء في "الكشاف".

**3-2-1. النموذج الأول:** قال تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ [البقرة:17]؛ فقد استعير مثل الذي استوقد نارا استعارةً على حال المنافقين، لمناسبة الصفة أو الحال أو القصة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا، وكذلك قوله: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾ [محمد:15]؛ أي: وفيما قصصنا عليك من العجائب: قصة الجنة العجيبة، وأخذ في بيان عجائبها، وكذلك قوله: ﴿**مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾ [الفتح:29]؛ بمعنى صفتهم وشأنهم المتعجب منه، فإن قلت: كيف مُثِّلَت الجماعة بالواحد؟ قلت: وضع "الذي" موضع "الذين"، كقوله تعالى: ﴿**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا**﴾ [التوبة:69] والذي سوّغ وضع الذي موضع الذين، أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون. وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة؛ فسائر الموصولات لفظ الواحد والجمع فيهن واحد، فربما قصد جنس المستوقدين، أو أراد الفوج الذي استوقد نارا، فلم يشبه ذوات المنافقين بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، إنما شبَّه قصتهم بقصة المستوقد، وذلك كقوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارا**﴾ [الجمعة:5]، وقوله تعالى أيضا: ﴿**يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾ [محمد:20].[2]

وأما إفراد الضمير وجمعه في: "حَوْلَهُ"، "نورهم"، "تركهم"، فللحمل على اللفظ تارة، وتارة على المعنى، وأُسند الفعل إلى اللّه تعالى في: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ لأنّ النار إذا طفئت بسبب سماوي ريح أو مطر، فقد

[1]- المرجع نفسه، ج1، ص72.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص72-73.

أطفأها اللَّه تعالى، وإما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام، كقوله: ﴿**كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾ [المائدة:64]، وإما نارا حقيقية أوقدوها ليستضيئوا بها في بعض العبث والمعاصي، فأطفأها اللَّه وخيب أمانيهم، وقال "بنورهم"، ولم يقل: ذهب اللَّه بضوئهم؛ لأنّ ذكر النور أبلغ، فالضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب اللَّه بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا.[1]

ويجوز أن يشبه بذهاب اللَّه بنور المستوقد اطلاع اللَّه على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين، وما اتسموا به من سمة النفاق، والأوجه أن يراد به الطبع، لقوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾ [البقرة:18]؛ فلما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقَّبَ بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب اللَّه بنورهم وتركه إياهم في الظلمات، وجاءت النار نكرةً للتعظيم، وكانت حواسهم سليمة ولما صدّوا عن سماع الحق، وأبوا أن تنطق به ألسنتهم، وأن تبصره عيونهم انتقضت مشاعرهم التي بُني عليها للإحساس والإدراك.[2]

**3-2-2. النموذج الثاني:** قال تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:19]؛ شبّه في التمثيل الأوّل المنافق بالمستوقد نارا، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وشبّه انقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وشبّه في التمثيل الثاني دين الإسلام بالصيب، لأنّ القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وشبّه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الفتن والفزع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا، فإن قلت: وهذا تشبيه أشياء بأشياء لم يُصرّح فيه بالمشبهات كما في قوله تعالى: ﴿**وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَلَا الْمُسِيءُ**﴾ [غافر:58]، لكن هنا جاء ذكره مطويا على سبيل الاستعارة، كقوله تعالى: ﴿**وَما يَسْتَوِي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَهذا مِلْحٌ أُجاجٌ**﴾ [فاطر:12]، وقوله: ﴿**ضَرَبَ**

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص73-74.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص75.

**اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ﴾** [الزمر:29]؛ والتمثيلان كلاهما من جملة التمثيلات المركبة، فلا يُفرّقُ كل واحد ويقدَّر شبهه بمثله، وقد كانت العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولة من بعضها، فتشبهها بنظائرها، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تلاصقت وتضامّت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها، فكذلك شبّه وقوع المنافقين في الحيرة والدهشة بضلالتهم وشدّة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.[1]

**3-2-3. النموذج الثالث:** قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:261]؛ فالذين ينفقون مَثَلُ نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والمنبت هو اللَّه، وأُسنِدَ الإنبات للحبة لأنها سبب؛ كما يسند إلى الأرض والماء، ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبلة، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، لتكون كأنها ماثلة بين عيني الناظر، ويصحّ هذا التمثيل لوجوده في سنابل الدخن والذرة وغيرهما، وربما أنتجت ساق البرة أيضا في بعض الأراضي القوية هذا المبلغ من الحب، وحتى لو لم يوجد فهو تمثيل صحيح على سبيل التقدير[2]، وقد جاءت "سنابل" بصيغة الكثرة؛ ولم تكن بصيغة القلة كما في قوله تعالى: ﴿**وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ**﴾ [يوسف:43]؛ وذلك لأن جمع الكثرة

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص79-80.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص310.

قد يأتي مكان جمع القلة كما في قوله تعالى: ﴿**ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ [البقرة:228][1]، والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء[2]، وقد يكون مجيء جمع الكثرة هنا لمناسبة السياق وصورة تضعيف الأجر.

**3-2-4. النموذج الرابع:** قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الروم:28]؛ وردت "مِن" في الآية في ثلاثة مواضع، الأولى في ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلا من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم، والثانية في ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ﴾ للتبعيض، والثالثة في ﴿مِنْ شُرَكاءَ﴾ مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي، ومعنى التصوير هنا: هل ترضون لأنفسكم أن يشارككم بعض عبيدكم فِي ما رَزَقْناكُمْ من الأموال وغيرها، تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير فصل بين حرّ وعبد؛ وبذلك تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيها دونهم، وأن تفتاتوا بالتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار، فإذا لم ترضوا لأنفسكم ذلك، فكيف ترضون لله مالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ وقد فصل الله تعالى هذا المثل ليبين به الصورة المشوّهة للشرك، فبينها تمثيلا وتصويرا؛ لأن التمثيل يوضح المعاني ويكشفها.[3]

**3-2-5. النموذج الخامس:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ**﴾ [ص:23]؛ قيل: إن عين داوود عليه السلام وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا، فأحبها، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يردّه، ففعل، فتزوّجها، فقيل له: إنك مع كبر شأنك وارتفاع مرتبتك وعظم منزلتك وكثرة نسائك: لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا النزول عن امرأته

[1]- الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، ص296. ويُنظر أيضا: نجم الدين الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب (مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975م، ج2، ص126. ويُنظر أيضا: خالد الجرجاويّ الأزهري، شرح التصريح على التوضيح في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ج2، ص522.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص310.

[3]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص478.

وليس له غيرها، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك[1]، وقيل: إن ذنب داوود أنه تمنّى أن تكون امرأة أوريا زوجته، فاتفق ذلك مع غزو أوريا وهلاكه في الحرب، فلما بلغ لداوود قتله لم يجزع كما جزع على غيره ممن هلك، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك، وقال بعضهم: ذنب داود أن أوريا قد خطب تلك المرأة، فلما غاب في غزاته خطبها داوود عليه السلام فزُوِّجت منه لجلالته، فاغتم أوريا لذلك غما شديدا، فعاتبه الله تعالى على ذلك.[2]

والخصم اللذان قدما على داوود في محرابه هما ملكان بعثهما الله في صورة إنسيّيْن[3]، ويقال: كانا جبريل وميكائيل[4]، قال تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ**﴾ [ص:21-22]؛ ولما قال أنا أريد أن آخذ نعجة أخي منه فأكمل بها المئة، سأله داوود: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال داوود: إذن لا ندعك وذاك، فإن ذهبت تريد ذلك ضربنا منك هذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجبهة، قال: يا داوود أنت أحق أن يُضرب منك هذا وهذا؛ لك تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قُتِل وتزوجت امرأته، فنظر داوود فلم ير

---

[1]- المرجع نفسه، ج4، ص80.

[2]- يُنظر: أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م، ج8، ص190. ويُنظر أيضا: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ، ج4، ص61.

[3]- يُنظر: أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، ج8، ص615. ويُنظر أيضا: أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج8، ص186. ويُنظر أيضا: أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ج4، ص326.

[4]- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، ج4، ص60.

شيئا، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتُلي به، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾ [ص:24].[1]

ووجه التمثيل في الآية أنها مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة وآخر له تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجته، وأراد ملكها وحاجَّهُ في ذلك محاجَّة حريص على بلوغ غايته[2]، وقال الزمخشري بأنّ كل التأويلات التي فيها افتراء على نبي الله داوود عليه السلام وانتقاص من قدره مردودة؛ لأن المثل الذي ضربه الله تعالى لقصته يدل على طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب، وقد جاءت القصة في القرآن الكريم على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؛ لكونها أبلغ في التوبيخ، فإذا أدّاه التأمل إلى الشعور بالمعرَّض به، كان أكثر وقعًا في نفسه، وأشد تمكنا من قلبه، وأجلب لحيائه واحتشامه، وأدعى إلى التنبه على الخطإ فيه من أن يبادره به تصريحًا، مع ما فيه من مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة، كما أوصى الحكماء إذا وجد الوالد من ولده فعلا منكرًا أن يُعرِّضَ بإنكاره عليه ولا يصرح، فتُحكى له حكاية قياسًا لحاله؛ إذا تأملها استسمج[3] حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه، وذلك أزجر له؛ لأنه يجعلُ ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه، فيتصور قبح ما صدر منه بصورة مكشوفة، مع صون حجاب الحشمة بين الوالد والولد.[4]

**3-2-6. النموذج السادس:** قال تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصّلت:11]؛ وفي الآية تمثيل بأسلوب مجازي؛ فأمرُ الله للسماء والأرض بالإتيان وامتثالهما معناه أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه، ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك

[1]- يُنظر: أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م، ج21، ص183. ويُنظر أيضا: أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج8، ص190.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ص83.

[3]- **استسمَج الشيءَ:** أي عدَّه سَمِجاً أي قبيحاً. يُنظر: نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج5، ص3214.

[4]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ص81-82.

كالمأمور المطيع حين ورد عليه فعل الآمر المطاع، ويجوز أن يكون هذا تخييلا، حيثُ كلّم الله تعالى السماء والأرض قائلا: ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه، فردّتا: أتينا طوعًا لا كرهًا، والغرض من هذا التمثيل هو تصوير قدرة الله وأثرها في المقدورات لا غير، من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب.[1]

## 4. الخاتمة:

بفضل الله وفتحه وتوفيقه تم هذا البحث، وفي ختامه يمكن عرض جملة من النتائج، وذكر بعض التوصيات، وذلك في الآتي:

### 4-1. النتائج:

- ✓ يعدُّ كتاب "الكشاف" للزمخشري من كتب التفاسير البارعة، وخاصة من ناحية البيان والإعراب، وقيل: إنّ كتاب "الكشاف" في التفسير من التصانيف البديعة، ولم يصنف قبله مثله، وقد درس بعض الفقهاء كتاب الكشاف وناقشوا ما فيه من مواطن الاعتزال، وأجابوا عما خالف فيه مذهب السنة.
- ✓ أنكر ابن حجر معتقدَ الزمخشري، لكنه امتدح علمه باللغة فقال بأنه كان في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام، وكتبه "أساس البلاغة" و"الفائق في غريب الحديث" و"المفصل" من الكتب الحسان، وقال عن تفسيره "الكشاف": إنه أولع الناس به ونقبوا عليه وبينوا دسائسه وأفردوها بالتصنيف، ومن رسخت قدمه في السنة انتفع بتفسيره ولم يضره ما يخشى من دسائسه.
- ✓ التمثيل أسلوب بياني يُصار إليه لرفع الحجاب وكشف المعنى عن الغرض المطلوب، وإتمام لبيان المقصود، والعرب تضرب الأمثال في كلامها، فتستحضِرُ المثل بالنظائر، وفي هذا إبراز لخبايا المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، فيكون الغائب كأنه مشاهد، والمتخيل في صورة المحقق.
- ✓ ورد التمثيل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدا؛ ويكون على صورة تشبيه أو استعارة تكون مناسبة لصفة المُمثَّل له أو حاله أو قصته وقد تفنن الفقهاء في تأويلها وفق قواعد اللغة، ويساهم هذا التمثيل في إثراء عنصر التشويق في التعبير، وعنصر الإقناع في المعنى.

[1]- المرجع نفسه، ج4، ص189.

- ✓ جاء التمثيل في القرآن الكريم بأسلوب التعريض لا التصريح؛ لكونه أبلغ في التوبيخ؛ لأن التأمل في المعرَّض به يكون أكثر وقعًا في النفس، وأشد تمكنا من القلب، وأدعى إلى التنبه على الخطإ، مع ما فيه من مراعاة ترك المجاهرة، كحال من يجد من ولده فعلا منكرًا فيُعرِّضَ بإنكاره عليه ولا يصرح، فيحكى له حكاية قياسًا لحاله؛ وإذا تأملها يجعلُ ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه، فيتصور قبح ما صدر منه بصورة مكشوفة.

## 4-2. التوصيات:

- ✓ التعمق في دراسة كتب الزمخشري اللغوية، لكثرة نفائسها لضلوعه في اللغة، وذلك سعيا للاستفادة منها في التأويل البلاغي والبياني.
- ✓ تجنب الحكم على الأشخاص ونفي تاريخهم بسبب خطأ ارتكبوه، وحتى لو كان ذلك؛ فإننا نستفيد منهم فيما لم يخطئوا فيه ونترك الآخر.
- ✓ توسيع الدراسة بتحليل نماذج أخرى من الكتاب المدروس وغيره من كتب التفسير البياني، لمعرفة أسرار التمثيل الكثيرة ودوره في التركيب والمقصود.

## 5. قائمة المصادر والمراجع:


1- ابن الجزري؛ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، (د.ت)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، (د.ط).

2- ابن المستوفي؛ المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، (1980م)، تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، (د.ط).

3- ابن حجر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (1392هـ/ 1972م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد بالهند، الطبعة الثانية.

4- ابن حجر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (2002م)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى.

5- ابن حجر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، (د.ت)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط).

6- ابن خلكان البرمكي الإربلي؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، (1994م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

7- ابن سيده المرسي؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1421هـ/ 2000م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

8- ابن نقطة الحنبلي؛ أبو بكر، معين الدين، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي، (1410هـ)، إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

9- أبو إسحاق الثعلبي؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم، (1422هـ/ 2002م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

10- أبو إسحاق الزجاج؛ إبراهيم بن السري بن سهل، (1408هـ/ 1988م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

11- أبو البقاء الكفوي؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي، (د.ت)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط).

12- أبو الفداء السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني)؛ زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا الجمالي الحنفي، (1413هـ/ 1992م)، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

13- أبو القاسم الزمخشري؛ محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

14- أبو القاسم الزمخشري؛ محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (1993م)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.

15- أبو جعفر الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (1420هـ/ 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

16- أبو طاهر الأصبهاني؛ صدر الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد، (1411هـ/ 1991م)، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز، تحقيق: محمد خير البقاعي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

17- أبو منصور الماتريدي؛ محمد بن محمد بن محمود، (1426هـ/ 2005م)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

18- البغوي؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (1420هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

19- التهانوي؛ محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي، (1996م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، تقديم: رفيق العجم، تعريب الفارسية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى.

20- الجرجاويّ الأزهري؛ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد المصري، وكان يعرف بالوقاد، (1421هـ/ 2000م)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

21- جلال الدين السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، (1424هـ/ 2004م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى.

22- جلال الدين السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، (د.ت)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، (د.ط).

23- الجوهري؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (1407هـ/ 1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة.

24- الحموي؛ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، (1414هـ/ 1993م)، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.

25- الخطيب البغدادي؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (1417هـ)، تاريخ بغداد وذيوله (المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي، ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، المستفاد من تاريخ بغداد لابن الدمياطي، الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي لابن النجار)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

26- الشريف الجرجاني؛ علي بن محمد بن علي، (1403هـ/ 1983م)، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

27- الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك، (1418هـ/ 1998م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، محمود سالم محمد، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر/ دار الفكر، بيروت/ دمشق، الطبعة الأولى.

28- الفيروزآبادي؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (1421هـ/ 2000م)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

29- الفيروزآبادي؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (1426هـ/ 2005م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة.

30- كمال الدين الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، (1405هـ/ 1985م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة.

31- محيي الدين الحنفي؛ أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، (د.ت)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د.ط).

32- نجم الدين الإستراباذي؛ محمد بن الحسن الرضي، (1395هـ/ 1975م)، شرح شافية ابن الحاجب (مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).

33- نشوان بن سعيد الحميري اليمني، (1420هـ/ 1999م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر/ دار الفكر، بيروت/ دمشق، الطبعة الأولى.